تقديم

رسالة كاشفة

هذه رسالة كاشفة، ليس فقط لمسار التطورات التى شهدتها أفغانستان بعد الانقلاب على الملكية فيها، ولكن أيضًا لمعالم أساسية فى السياسة المصرية والعربية بوجه عام، ومن هنا تكمن أهميتها؛ فهى تستدعى إلى الأذهان حقيقة الأوضاع والتقلبات التى شهدتها أفغانستان منذ انقلب الشيوعيون على أسرة ظاهر شاه حتى قرر الأمريكيون تدمير البلد لإسقاط حكم طالبان بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١، وهو الشريط الذى غابت معالمه عن الإدراك العربى وسط زحام الأحداث التى تلاحقت فى الساحتين العربية والدولية، وأدت إلى تراجع الاهتمام بالشأن الأفغانى، الأمر الذى ينبهنا إلى أن الاهتمام بأفغانستان، وغيرها من دول الأطراف فى العالم الإسلامى ارتبط بالأحداث السياسية المثيرة أكثر من اتصاله بالرؤية الإستراتيجية الحاكمة فى العالم العربى، وهو ما يستدعى أكثر من سؤال حول موقع بقية دول العالم الإسلامى فى دائرة الاهتمام العربى على الصعيدين السياسى والإعلامى.

هذه الملاحظة الأخيرة سجلتها فى كتاب لى أصدرته عن أفغانستان قبل ثلاثين عامًا ـ فى عام ١٩٧٩ ـ وجمعت فيه حصيلة رحلة قمت بها آنذاك إلى ذلك البلد الذى منحه الله طبيعة أخاذة وشعبًا نادرًا، إذ انتقدت فى مقدمته غياب العالم العربى عن أفغانستان، وقلت: إننا انكفأنا على ذواتنا بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ التى «أدت بنا إلى أن نتعزل عن أحداث كثيرة جرت من حولنا، وأن ننسحب من مواقع عديدة كان لنا ـ عربيًّا ـ دور فيها. ومنذ أصبح العالم العربى بلا قيادة حقيقية، غاب عنا الهدف واختفى الدور، واختلفت الوسائل بل تناقضت وتحول الغياب أحيانًا إلى غيبوبة».

أضفت فى مقدمة الكتاب الذى صدر بعنوان: «حدث فى أفغانستان» أن اللافت للنظر أن

مرحلة الانسحاب والانكفاء على الذات هذه جاءت مصحوبة بحالة ثراء عربى هائل؛ تولدت عن مضاعفة عائدات النفط؛ أى أننا صرنا فى النهاية أكثر ثراء وأقل قيمة، المسألة الثانية المهمة التى كشفت عنها هذه الرسالة هى أن الاهتمام بالشأن الأفغانى فى السياسة الخارجية المصرية فى الفترة من عام ١٩٧٩ إلى ٢٠٠٧ كان متأثرًا كثيرًا برياح السياسة الدولية؛ أعنى أنه كان صدى أكثر منه تحركًا أصيلًا ينبع من إدراك لأهمية الصلة بين أفغانستان ومصر؛ الدولة المحورية فى العالم العربى التى لها إشعاعها الذى لا ينكر فى أرجاء العالم الإسلامى، والذى انطلق من الأزهر. ذلك أن الدور السياسى المصرى تأثر كثيرًا بطبيعة علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية، فقد ساندت مصر الجهاد الأفغانى وقدمت لفصائله مساعدات وتسهيلات كثيرة، حين كان للولايات المتحدة الأمريكية مصلحة حقيقية فى استنزاف الاتحاد السوفييتى وإرباكه وهزيمته فى أفغانستان، ومن ثم إخراجه منها ولا أريد أن أطلق هذا الحكم؛ لأن القراءة المتعمقة للجهاد الإسلامى فى أفغانستان تدعونا للاعتراف بأن أعدادًا غير قليلة من المجاهدين ذهبوا إلى هناك بدوافع خالصة استخدمت الدفاع عن ديار الإسلام التى تعرضت للغزو الشيوعى ولم يكونوا جزءًا من مؤامرة من أى نوع؛ لا المؤامرة الأمريكية ضد السوفييت، ولا مؤامرة المجموعات المتطرفة التى أثارت بعض مظاهر الفوضى والأعمال الإرهابية فى مصر، وعرفت فى وقت لاحق باسم «العائدون من أفغانستان». وللأسف أن كل المجاهدين الذين ذهبوا إلى أفغانستان أثناء المعركة ضد السوفييت شوهت صورتهم فى وسائل الإعلام حتى أصبحوا يصنفون إما كعملاء للمخابرات المركزية الأمريكية وإما كإرهابيين يشتبكون مع السلطة ويرفعون السلاح ضدها فى مصر. وهذه التعبئة الإعلامية أسقطت من الحسبان جهدًا نبيلًا بذله شبان شرفاء ذهبوا إلى أفغانستان بنوايا خالصة استهدفت مساندة شعبها ابتغاء لوجه الله وطمعًا فى الشهادة فى سبيله.

لقد كان «التجاوب» على السياسة الأمريكية واضحًا فى الموقف المصرى طوال الفترة التى تخيرها الباحث لتكون موضوعًا لدراسته. وكانت مساندة حركات الجهاد الإسلامى هناك من تجليات ذلك التجاوب الذى لم يكن بعيدًا عن إستراتيجية الولايات المتحدة فى مواجهة الاتحاد السوفييتى. ولكن التوجس والحذر أصبحا طابع تلك العلاقة حين ظهرت أنشطة العائدين من

أفغانستان «فى مصر»، وبعيد تولى حركة طالبان للسلطة فإن التوجس والحذر ظلّا من سمات الموقف الرسمى المصرى إلى أن اتجهت الولايات المتحدة إلى حصار نظام طالبان فى قندهار ثم إسقاطه بعد ذلك. وهى الخطوات التى نشط فيها تجاوب الموقف المصرى مع السياسة الأمريكية.

لقد بذل الباحث الأستاذ / زيد الله عماد الدين نائل جهدًا كبيرًا فى تجميع مواد هذه الرسالة لكى يقدم لنا تلك الصورة الكاشفة التى تستحق أن تكون موضع دراسة المهتمين بعلاقات مصر بالعالم الإسلامى، وهى الدائرة التى أدرجت يومًا ما ـ فى المرحلة الناصرية ـ ضمن دوائر الاهتمام المصرى، ولكنها لم تلق الاهتمام الكافى من الباحثين، ربما حين فترت همّة السياسيين وانخرطوا فى مسار الانكفاء على الذات. الذى أرجو أن تتجاوزه مصر يومًا، سواء من جانب السياسيين أو الباحثين الأكاديميين، وحبذا لو التقت على ذلك جهود الطرفين.

فهمى هويدى

* * *

تقديم

تحية وتهنئة

عندما طلب منى الباحث الأفغانى زيد الله عماد الدين نائل أن أكتب تقديمًا لرسالته القيمة التى نال بها درجة الماجستير من معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة حول «السياسة الخارجية المصرية تجاه أفغانستان ١٩٧٩ - ٢٠٠٧»، والتى أشرفت عليها الأستاذة الدكتورة هدى ميتكيس مدير مركز البحوث والدراسات السياسية والمتخصصة فى الشأن الآسيوى، لم أتردد فى ذلك وعكفت على الرسالة قارئًا فسعدت بكل جديد فيها؛ إذ إن المسألة الأفغانية قد سيطرت على مشاعرنا فى العقود الأربعة الماضية، فمنذ الغزو السوفيتى لذلك البلد الآسيوى المسلم ونحن نشعر أن الأفغان مستهدفون وأن الموقع الإستراتيجى لأفغانستان يغرى القوى الكبرى ويثير أطماعهم وكأنهم لم يسمعوا الحكمة العربية القائلة: «اتقِ لدغة الأفعى وثأر الأفغانى»، فالأفغان شعب شديد المراس قوى الشكيمة علمتهم تضاريس بلدهم خشونة الحياة والقدرة على مواجهة النوائب.

وحيث إن هذه الدراسة تنصرف إلى العلاقات المصرية الأفغانية فإنها تعيدنا إلى زيارة الملك الأفغانى الراحل «أمان الله» لمصر قبل منتصف القرن العشرين وحفاوة الأسرة العلوية الحاكمة به وببلده الشقيق، بل إن سفيرًا أفغانيًا فى القاهرة «صادق مجددى» قد اختار الإقامة هو وأسرته فى عاصمة المعز فاحتضنته أرض الكنانة، حيث ارتبطت أسرته بمصاهرات متعددة مع عائلات مصرية عريقة فاختلط الدم المصرى بالأفغانى فى ملحمة بشرية رائعة.

ولقد أتاحت لى ظروف عملى فى العاصمة الهندية مستشارًا للسفارة المصرية فى نهاية السبعينيات

ومطلع الثمانينيات من القرن الماضي أن أشهد عن كثب ضراوة المقاومة الأفغانية ضد الغزو الشيوعي وأن أتابع الكثير من يوميات المعارك وبسالة المقاتلين، وسوف نتذكر دائمًا أن المقاومة الأفغانية ضد الوجود السوفييتي كانت هي المدرسة الميدانية التي تخرجت منها كوادر الرفض السياسي والديني للقوى الغربية المعادية للإسلام، والتي دأبت على اتهامه بالتعصب والتطرف والإرهاب، وذلك بدءًا من عصر الملك الراحل «محمد ظاهر شاه» مرورًا بحكم «طالبان» وصولًا إلى عصر «كرزاي» بما له وما عليه.

فليقبل مني هذا الباحث الجاد صاحب الرؤية المتميزة تحية صادقة وتهنئة خالصة على جهد كبير سوف يبقى في ميزان حسناته إلى يوم الدين.

د. مصطفى الفقي

المستشار السياسي الأسبق للرئيس محمد حسني مبارك
ورئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشعب
القاهرة - يونيو ٢٠٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تمثل السياسة الخارجية أحد الجوانب الرئيسية لنشاط أى دولة، فهى تعبر عن التوجهات العامة التى تتبناها الدولة إزاء الدول الأخرى استنادًا إلى مصالحها الوطنية العليا وأهدافها القومية المحددة والأدوار التى تتصورها لنفسها فى محيطها الإقليمى والدولى، وذلك من خلال مجموعة من الإستراتيجيات والقرارات والتحركات التى تشكل السلوك الخارجى لها. ولقد اكتسبت السياسة الخارجية دومًا أهمية خاصة بالنسبة لمصر، وذلك بفعل الموقع الجغرافى الذى جعل منها عنصرًا مهمًّا فى بؤرة التفاعلات الدولية بحيث كان البعد الخارجى يشكل دائمًا بوازًا رئيسيًّا لمشروعات نهضة مصر فى تاريخها الحديث. وهناك عدة ثوابت يجب وضعها فى الاعتبار عند تحديد اتجاهات تطوير السياسة الخارجية المصرية أهمها: أن مصر تعتبر إحدى القوى الإقليمية الرئيسة فى المنطقة العربية والإسلامية، وبالتالى فإن مسألة الدور الإقليمى كانت ولا تزال شديدة الأهمية بالنسبة لها؛ لأنها أكبر دولة فى المنطقة وبها أكثر قوة علمية فى المنطقة والعالم الإسلامى، وهى مفتاح الانسجام والاستقرار فى الشرق الأوسط، حيث تطفو مصر على السطح لدى أى نقاش يدور فى الشرق الأوسط كما صرح الرئيس الأمريكى الأسبق أيزنهاور مبينًا أهمية مصر بقوله: «إن الشرق الأوسط مثل الزرافة وإن مصر رقبتها... ومن يُمْسِكُ برقبة الزرافة فقد أمسك بالزرافة»[1]. ولا شك أن مصر دورها محورى ويتزايد بصفة مستمرة، وأنها الدولة الوحيدة القادرة على الحفاظ على أمن واستقرار منطقة الشرق الأوسط، بما لديها من علاقات طيبة مع جميع الأطراف والفصائل والمجموعات فى المنطقة. بإيجاز حاسم كانت مصر باستمرار قطب قوة وقلب إقليم[2]. إن مصر مدعوة لتؤدى دورًا قياديًّا فى القضية الأفغانية كما قالت وكالة رويتر الإنجليزية تعليقًا على حضور مصر المؤتمر الإسلامى الذى

(١) عبادة كحيلة، **مصر والوطن العربى، تواصل أم انقطاع**، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ص ٣١.

(٢) جمال حمدان، **شخصية مصر**، الجزء الثانى، دار الهلال، القاهرة، ص ٦٩٠.

عقد فى يناير ١٩٨٦ أنه ثبت أن العرب والمسلمين بدون مصر عاجزون عن عمل شىء حاسم[١]. ومن المعروف أن مصر ارتبطت تاريخيًا بأفغانستان بعلاقات صداقة وتعاون سادها الاحترام والثقة والتأييد والاستمرارية على النحو الذى سهَّل توسيع نطاق هذه العلاقات فى المرحلة الحالية لتشمل العديد من المجالات السياسية والعسكرية والثقافية بما أفرز الكثير من التفاعلات التعاونية التى تمثل قاعدة صلبة لتنمية العلاقات المصرية الأفغانية. وبالنسبة لأفغانستان تأتى أهمية الدور المصرى فى دعم الاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط، بحكم مكانة مصر المرموقة بين الدول العربية والإسلامية والإفريقية. حيث تعى أفغانستان أن مصر هى دولة مركزية فى تفاعلات المنطقة. وتشغل مركزًا محوريًا على مستوى تفاعلاتها الإقليمية وثقلها السياسى وتحتل مكانة «الدولة القائد ـ pilot state» عربيًا وإقليميًا، وأنها حجر الزاوية فى بناء أمن الشرق الأوسط. ولذلك اعتبرت أفغانستان مصر أحد أهم محاور حركتها الدبلوماسية فى العالم العربى. ولا شك أن العلاقة بين أفغانستان ومصر وطيدة ومتينة ضاربة بجذورها فى عمق التاريخ. وأفغانستان تحرص دومًا على متانة العلاقات مع مصر فى كافة المجالات (بعد سبع سنوات عجاف من حكم حركة طالبان). وأن التعاون القائم فيما بينهما فى الظروف الراهنة يشهد مسارًا متناميًا فى جميع الأصعدة وهذا فخر لنا. ونحن الأفغانيين نعتز بهذه العلاقات التى تجسدها معانى الأخوة الإسلامية، ونسعى لتعزيز وتعميق هذه العلاقات فى كل المجالات وخصوصًا المجال الثقافى؛ لأننا نؤمن بالدور الرائد والإسلامى الذى تقوم به مصر (مهد الحضارة) لوحدة الصف الإسلامى والعربى؛ ولذلك تهدف هذه الرسالة إلى شرح سياسة الخارجية المصرية تجاه أفغانستان من ١٩٧٩ إلى ٢٠٠٧.

مشكلة الدراسة: تسعى الدراسة إلى إيجاد إجابة لمشكلة التباين الواضح فى العلاقة بين مصر وأفغانستان خلال فترة الدراسة والبحث فى أسباب هذا التمايز، وبالأخص الإجابة عن السؤال التالى: هل تمايز الموقف المصرى فى أفغانستان خلال فترة الدراسة يعبر عن أوضاع داخلية مصرية لها علاقة مباشرة بالحرب المصرية ضد الإرهاب الداخلى أم أنه يعبر عن تطور العلاقات المصرية الأمريكية ويعكس مراحل متميزة مشابهة للعلاقات بين الولايات المتحدة وأفغانستان؟ بمعنى آخر هل علاقة مصر مع أفغانستان هى امتداد للسياسة المصرية الداخلية أم هى الوجه الآخر للسياسة الأمريكية الأفغانية؟

---

(١) عبد الستار الطويلة، **أفغانستان الحقيقة والمستقبل**، مطابع روزاليوسف القاهرة، بدون تاريخ، ص ١٥٤.

الأسئلة البحثية: كيف تعاملت مصر مع الجهاد الأفغانى؟ وما طبيعة الموقف المصرى تجاه أفغانستان؟ لماذا اعترفت مصر بحكومة المجاهدين والحكومة الجديدة بعد انهيار طالبان، ورفضت الاعتراف بحكومة طالبان؟ وما مستقبل العلاقات المصرية الأفغانية؟

أهمية الدراسة: تأتى أهمية الدراسة سواء كانت العلمية أو العملية من عدة أسباب لعل أهمها: أن أفغانستان دولة مهمة فى المنطقة كما قال «العلامة إقبال لاهورى» آسيا هى بلاد الماء والورود، وأفغانستان فى آسيا هى بمنزلة القلب فى الجسد، وإذا فسدت أفغانستان سوف تفسد آسيا كلها، وفى صلاح أفغانستان صلاح آسيا كلها. وهى إحدى ركائز التوازن الإستراتيجى والأمنى فى تلك المنطقة، ومن ثم فإن دراسة علاقاتها بدول تلك المنطقة إنما ترتبط إلى حد كبير بمعادلات التوازن الإستراتيجى والأمنى فى هذه المنطقة، ومن ثم تأتى الأهمية الإستراتيجية.

تحليل أهداف سياسة الخارجية المصرية تجاه أفغانستان وتأثيرها على بروز الدور الإقليمى لمصر. تحاول الدراسة توضيح جذور القضية الأفغانية بدءًا من الغزو السوفييتى ومرورًا بحكومة المجاهدين ومجيء حركة طالبان وانهيارها، ثم حكومة جديدة بعد طالبان وتعامل السياسة الخارجية المصرية تجاه أفغانستان.

منهج الدراسة: نستخدم فى هذه الدراسة منهج تحليل النظم بحيث نتعرف إلى البيئة الداخلية والخارجية المؤثرة على السياسة الخارجية المصرية تجاه أفغانستان ثم التعرف على طبيعة وملامح هذه السياسات، وكيف ومتى تمت صياغتها؟ ثم النتائج التى نتجت عنها، هذا بالإضافة إلى المنهج التحليلى الذى يهدف إلى تحليل الوقائع والأحداث الخاصة بمنطقة معينة مما يعنى أنه عند دراسة السياسة الخارجية المصرية يتعين علينا تحليل الوقائع والأحداث فى أفغانستان، فى محاولة لتتبع تطور العلاقات المصرية الأفغانية منذ دخول الاتحاد السوفييتى فى أفغانستان إلى ٢٠٠٧.

تقسيم الدراسة:

الفصل الأول: مبادئ وأهداف السياسة الخارجية المصرية.

المبحث الأول: دوائر السياسة الخارجية المصرية.

المبحث الثانى: صنع السياسة الخارجية المصرية.

المبحث الثالث: سمات وتطورات العلاقات المصرية الأفغانية.

الفصل الثاني: السياسة الخارجية المصرية تجاه المقاومة الإسلامية ضد السوفييت ١٩٧٩ـ١٩٨٩.

المبحث الأول: الأهمية الجيوسياسية لأفغانستان.

المبحث الثاني: السياق التاريخي للعلاقات الأفغانية السوفييتية.

المبحث الثالث: موقف مصر تجاه المقاومة الإسلامية ضد السوفييت.

الفصل الثالث: السياسة الخارجية المصرية تجاه حكومة المجاهدين وطالبان.

المبحث الأول: تطور مراحل الصراع الأفغاني.

المبحث الثاني: عوامل الصراع الأفغاني.

المبحث الثالث: موقف مصر تجاه حكومة المجاهدين وحركة طالبان.

الفصل الرابع: مصر والتحالف الدولي ضد أفغانستان.

المبحث الأول: أحداث ١١ سبتمبر والتوظيف السياسي للأحداث.

المبحث الثاني: موقف مصر إزاء التحالف الدولي ضد أفغانستان.

المبحث الثالث: أهداف الحرب الأمريكية على أفغانستان.

الخاتمة.

* * *